

المصطلح النقدي العربي بين هاجس التأصيل وهوس التوليد
- قراءة تفكيكية في أنساق الثقافة النقدية -

**Arabic critical terminology between the concern for genesis
and the constraints of neology:
deconstructivist review of the critical acculturation categories**

نصيرة علاك Nacira ALLEK

معهد اللغة والأدب العربي، المركز الجامعي مرسلبي عبد الله، تيبازة، الجزائر
alleklynda2@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/12/31

تاريخ القبول: 2022/12/25

تاريخ الاستلام: 2022/07/21

ملخص:

يستعرض هذا المقال، بأوجز ما يمكن وأبينه، بعض الأنساق التي أثمرتها الثقافة النقدية فيما يتعلق بالمصطلح النقدي العربي المبشّر بنشأتها الأولى والموطّد لركيزة مفاهيمها بينما كان يشتغل على صعيد أبعاد عدة ويصدر عن مرجعيات مضمرة. وذلك في رحاب الخطاب النقدي وتجلياته وممارساته التطبيقية. وكذلك يُسلط مقالنا الضوء على الاتجاهين اللذين سادا في الظاهر مرحلتَي التطور والنضج، وهما: هوس التأصيل المفهومي وهاجس التوليد المصطلحي. ونظرا لتفاعلات المظاهر والمضمرات، نقارب إشكاليتنا المرغّبة والمعقّدة إلى حد ما، بانتهاج قراءة تفكيكية نراها أنسب وأرحب لمثل هذه الموضوعات الشائكة.

الكلمات المفتاحية: المصطلح النقدي؛ الثقافة النقدية؛ التأصيل؛ التوليد؛ التحديث؛ التحيين؛ التفكيك؛ المصطلح المترجم؛ المصطلح المؤهل.

Abstract:

This article exposes, in a clear way, some categories that have arisen as a result of the phenomenon that is technically designated by the term “acculturation”, itself resulting from the practices of literary criticism. These categories relating to a certain terminology developed within the so-called Arab culture, will be effective to the point of characterizing said acculturation under norms worthy of analysis. The interest is aroused by the critical terminology which will significantly affect the functioning of the concepts within the corpora which will compose the determining referents of any critical discourse. During this analysis, we are called

upon to shed light on the two mechanisms, linguistic and of an intellectual and cultural order, which are involved in the operation underlined here, namely the reactivation of the heritage annexed to the contribution of the process of neology. However, these two schemes must be adjusted to the new parameters of the acculturation that has occurred.

Keywords: Critical Terminology; Critical Acculturation; Genesis; Neology; Renovation; Updating; Deconstruction; Translation terminology; Primary terminology.

1 مقدمة

1.1 الإشكالية

إنَّ النسقية التي تُشكِّل أَهَجَسَ مَلَمَحٍ في إشكاليات المصطلح النقدي العربي، ترجع إلى ما يقوم عليه هذا الأخير من التبعية لأنساق ذات إحداثياتٍ تقديرية أشمل، طالما أسهمت في إفرازه واستلهمت عددا كبيرا من الباحثين الذين استأثرت باهتماماتهم علاوة على النظر في كيفية اشتغالها. لهذا يراد معالجتها بدقة التشخيص وجدية التحليل، بدءًا من اللغة التي يتكرس هذا النمط من المصطلح (التقني الفني الفكري) من خلال نسقها. وفي عالمها. تسميةً ودلالةً (مفهوما) وعملاً وتاريخاً (تأنيلاً). كما تعد الثقافة أحد الأنساق الجوهرية التي تستمد منه نسقية المصطلح النقدي أصالتها. وكذلك تعتبر مؤسسة الترجمة مورداً يغرف منه النقاد أصول المفاهيم النقدية وفروعها التي تفرضها المثاقفة بامتياز.

لهذا كله، فإن التماس الكثير من القيود التعريفية التي ينطوي عليها المصطلح النقدي في حدود المرجعية الثقافية للمفهوم الذي يؤسس له، هو أمر طبيعي ومشروع. ومع مراعاة هذه الزاوية، يمكن ذكر ما يكتسبه المصطلح النقدي من قيمة منهجية بوساطة مواكبة ما يستجد على الثقافة العربية من المفاهيم النقدية الدخيلة عبر بوابة الترجمة. وهو العامل الذي يسوّغ التحديث، وباسم التحيين يعمد معظم النقاد إلى صك مصطلحات جديدة في إطار التوليد المصطلحي الصوري والدلالي، وبضربٍ من طفرة متواترة؛ غير أنها كثيراً ما تشوبها الريبة لغرابتها وغموضها وتضاربها وابتعادها عن التأقلم والطوعية والانسجام مع المكاسب القيمية المسبقة (تثمين التراث والاستثمار فيه، لكن بشيء من النزعة التقديسية المتشدّدة عملاً بذهنية الثوابت الراسخة!).

بيد أن هوس التأصيل الذي ركب هاجس فريق من هؤلاء النقاد - من جهة، وآمال التوليد المفتوح مصراعه بدون قيد ولا رقيب، قد لعب دورا كبيرا في تعكير صفو النسق المصطلحي الذي من الواضح أنه يستعصي على الاستقلالية بذاته ويعاني من الطابع التكريسي التضخمي (تحت دواعي تعدد التسميات والمفاهيم، وبالتالي الأنساق). أو ربما يعتبر هذا الوضع حسنة من حسنات المثاقفة النقدية التي غالبا ما تسمح لهذه الظواهر أن تتسلل إلى الثقافة العربية، لكن بشرط إرفاقها بالوعي تحسبا للمحاذير التي يجدر استباقها في حدود الإمكان: فهل يرجع حرص النقاد المؤصلين المنصب على الاستعانة بالتراث إلى خدمة غايات أقل ما يمكن أن تُنعت به من الأوصاف هو أنها نبيلة ومن باب الواجب، وكفى؟ وكيف يشغل المصطلح التأصيلي ضمن المدونات النقدية؟ وهل يتعايش بسهولة مع قرينه الذي يتخرج. خارج التأهيل التأيلي المفهومي الأولي (الأصلي). من مدرسة ومعمل التوليد المصطلحي المنفتح على النسق النقدي الغربي خصوصا، وبكل ما يتمتع به هذا الأخير من التكريس العلمي الفكري المستقر، وما يحمله من المرجعيات الثقافية التي تشكل أنساقا مختلفة عن البيئة الثقافية العربية المستقطبة والمقبلة على التجديد على أكثر من صعيد؟

2.1 الفرضيات

الفرض الأساس الذي ننتقل منه في تحليلنا مؤداه، أولا: أنّ المصطلح النقدي ليس أحادي النسق. قد يفسر ذلك بعدة تأويلات: أن يتصل مباشرة بأبعاد ومقومات وجودية اجتماعية ثقافية تاريخية، من شأنها أن تجعل منه يفتح على أنساق أخرى هي. عددًا ونوعًا. على قدر هذه الأخيرة وبنفس الكيفية والشدة. كما قد يرجع الأمر إلى انفتاح المصطلح النقدي على لغات وثقافات أجنبية.

ثانيا: مع ما تذهب إليه الفرضية السابقة، من احتمال التبعية التأصيلية والتوليدية (التأهيلية والترجمية)، فإن العضلات التي قد يسفر عنه ذلك الوضع هي من جنس متجانس مع أصلها، تتمثل في كونها لغوية واجتماعية وتواصلية وثقافية، أي هي من جنس وطبيعة تلك الأبعاد والمقومات.

ثالثا: هكذا يسلم تسليم مصير المصطلح في معالجة أهم قضاياها الاستمولوجية كما تقتضها الإشكالية، إلى تحليل المدونات النصية وتفكيك الخطابات التي تتضمن المصطلح النقدي للتعلم والاحتذاء من اشتغاله نصيا وخطابيا وليس خارج السياق.

3.1 المقاربة

نعمد، لبحث الفرضيات السابقة، إلى النظر في كيفية اشتغال المصطلح النقدي بحكم اختباره ضمن المدونات النقدية نسقا لغويا وثقافيا وترجميا، مع كل ما يشوبه من الأعراض الجانبية ويعتريه من الصعاب الابدستمولوجية في إدراك ذلك الاشتغال. وذلك بتطبيق المقاربة التفكيكية التي تفيد في مثل هذه الإشكاليات الثقافية التي تستدعي استكناه المرجعيات والاشتقاقات للخروج من مآزق الأحكام الجاهزة على يَنّة من الأمور؛ وذلك عن طريق الوقوف عند الفوائد والأضرار والمعطيات الموضوعية والبيانات التحليلية، بالدليل والتشخيص العلمي، بعيدا عن المواقف الانطباعية المجانية والثوقية المعصومة، واستئناسا بالنزعة الشكوكية المستندة على التجريب المشروع. وكذلك نعمد إلى طرح آليات المثاقفة النقدية بوصفها تدل على جملة من مقولات نقدية استرجاعية وطلعية (شمولية البرنامج المشروع)، نسقية الطبيعة والعمل هي الأخرى. كما يصلح الاحتكام. خلال تفكيكنا للمدونات. إلى المقاربة السياقية ذات الصلة الوطيدة بما يدعى أيضا (المقاربة الثقافية) للمصطلح (M. Diri-Kidiri, 2000, p.28-29)، أيّا يكن ميدان هذا الأخير وتفاعلاته الضمنية والخارجية ونشاطة الداخلي وترتيباته وانعكاساته الثقافية خاصة، وبالتالي اشتغاله متعدد الأنساق.

4.1 الغاية

بموجب الإشكالية المسطّرة، يرمي اختبارنا التفكيكي إلى استقصاء معالم المصطلح النقدي المتصل بخلفيات ثقافية عربية، والطموح إلى مسامرة ما يفد. ويُستوفد. إلى عالمها عبر نافذة الترجمة على الخصوص، ومعالجة الصعوبات والمشكلات والحلول المترتبة عن هذه الوضعية الإشكالية المزدوجة؛ من أجل التوصل إلى تبين الخط الفاصل بين ما يدعى المصطلحية المترجمة (Terminologie traductive) في مقابل المصطلحية المؤهلة أو المبدئية (Terminologie primaire)، وفي سبيل استيعاب منطق المصطلح النقدي العربي نسقيا وعمليا.

2 تحديدات مفاهيمية

1.2 المصطلح النقدي: الأشكّلة والمنهجة والنسقية

1.1.2 الطابع الإشكالي للمصطلح النقدي

لم يعد المصطلح النقدي المستشري في الثقافة العربية بطريقة فوضوية شيئا ما، يُستخدم لأغراض نقدية منهجية ونظرية فحسب، بل صار موضوعاً مستهدفاً حتى داخل

النصوص النقدية نفسها، إلى أن أضحت هموم تحديده وإعادة تعريفه ضرورة أولية في كل لحظة تستلزم استعماله أو ترتيب قضاياها أو استبداعه في مسارد ومعجمات مصطلحية ما. يقول رشيد يحيوي في هذا الشأن: « إنَّ الفوضى المصطلحية وإن كانت تثرى اللغة النقدية وتخصبها، فهي لا تمنع الغموض والتضارب في الرأي بل تكون السبب في ذلك. فلماذا تضاف مصطلحات جديدة غريبة كترجمة لمصطلحات متعارف على مقابل لها. لماذا ترجمة *Mythe* بـ "ميث" بدل أسطورة. ثم مصطلح سيختاره القارئ العربي كمقابل لـ *Formaliste* هل "شكلاني" أم "شكلي" أم أخيراً "شكلاوي" ولـ *Poétique* على "شعرية" أم "شاعرية" أم "إنشائية"؟ هذه مجرد أمثلة » (رشيد يحيوي، 1987، ص.49).

فمن هذا الباب، وإذا كان هذا التصرف المزدوج يقع على عاتق بعض المنظرين بدافع الترفيه الفكري، نرى أنَّ المصطلح الذي لا يسدّ حاجة النقد بقدر ما يصبح موضوعاً للنقد، هو لا يفيد العمل الإبداعي كثيراً بقدر ما يهض بوظيفة اللغة الواصفة (*Métalangage*) أو . كما يفضّل المرحوم محمد يحياتن ترجمته عن (دومينيك مانقونو، 2005، ص.78). "الميتاخطاب" الذي يعدّ في بعده العلمي خطاباً حول الخطاب، ذلك أنها تعد أيضاً خاصية تواصلية من جهة، وفنية من جهة أخرى (Roland Barthes, 1970, p.172). علماً أنَّ مثل هذا الخطاب المكثّف يتعلق أيضاً بما يدور حول الخطاب الإبداعي الذي ما هو إلا الأثر الأدبي ذي الطابع اللغوي المختلف عن اللغة القياسية لأنه ينزاح بطبيعته الإيحائية بالأخص عن معيارية اللغة؛ ثم إن هدف اللغة الأدبية إثارة انفعال لا تقرير وقائع، فهي لغة استشرافية بحكم انسياقها وقابليتها للتطويع الإبداعي، لذلك فهي لا تعرف حدوداً إزاء أداء المعاني واستحضار الأشياء والتعبير عن الموجودات التي يستنطقها المبدع عن طريقها؛ إنها توسع وتضيّق في نفس الوقت التفاوت بين الرّمز والفكرة، بين العلامة والمكتوب، وبين المكتوب والمعنى المحدد (عبد الله إبراهيم، 1989، ص.85).

وينبغي الإقرار هنا بأن ما يمكن أن نستقرّ على تسميته "الخطاب الواصف"، قد لا يقلّ شأنًا، ولا سيما في نظر بعض النقاد؛ ولكنّه يهّمّش المتن (العمل الإبداعي) لحساب الهامش (المصطلح النقدي). وذلك بما يقوم الناقد إزاءه من عملية شرح التسميات والمفاهيم التي تدور في فلكه إلى حين استجلائها لدى القارئ الذي يقدّر قدره أولاً، ثم يواصل رحلته النقدية التي على قدر استفحالها، وهي تستهدف الخطاب الإبداعي، تتقاطع مع كثير من النصوص النقدية. مع العلم أنَّ هذه الأخيرة تكون قد تناولت نفس الموضوع ومن زاوية مختلفة. وعليه، يصحّ إطلاق على هذا

الوضع وصف الأداء الضعيف للمصطلح النقدي كأداة منهجية مسخرة عادة لفائدة الأداء النقدي الموظف في سبيل تقييم العمل الإبداعي وتقويمه. ويرجع هذا الأداء الضعيف إلى ما يركز عليه من ركيزتين اثنتين هما:

- تقديم الولاء للدرس النقدي الغربي من غير التصدي لغربلته وانتقاده إلا شزراً.
- الطموح نحو نظرية عربية مؤسسة على ذلك الدرس وبعبداً عن التطبيق المصطلحي النقدي العربي.

إنّ المصطلح النقدي . مع طابعه التقني . ليس كغيره من المصطلحات (العلمية) إذ يشتغل في مساحات نصية تؤسس لسياقاته اللغوية المتنامية والمتراكمة في الأغلب . بينما يتصل المصطلح العلمي في كثير من الاختصاصات العلمية والتقنية بمقامات استعماله استعمالاً إحالياً . أي بما يحيل عليه من الموضوعات العينية والأشياء المحددة بما فيها العلاقات البينية . وذلك خارج النصّ بما يمكن الاستغناء عن هذا الأخير: وهو ما ييسر أمر تحديد المصطلح العلمي الذي هو من أرومة الصنف الثاني هذا . وذلك وفق تلك المقامات التي يمكن للمؤولين أن يسترسلوا بناءً عليها في التّخاطب المباشر حول تلك الأشياء العينية من غير الحاجة إلى تحديد الزوايا من جديد وبوتيرة متزايدة .

لكن ، ومع ما يختفي وراء أحادية الزاوية هذه من تضافر عوامل الاصطلاح الدقيق ، فلا يعدم هذا النمط من الخطاب العلمي أضرب التنوع في الطّرح . من هنا انبعاث مفارقة مؤداها أنّ التنوع في الطرح عند العلماء لا يستدعي الخضوع للكتابة المفرطة فيه وحوله إلا في حدود ضيقة بما هو واقع بين النصوص والخطابات الشفاهية . بينما نلفي المصطلح النقدي يعتره ركامٌ من الاستحداثات التي تسفر عنها الاستعمالات الفردية في مختلف الكتابات بما يدعو إلى إعادة تعريفه في كلّ مرة وبشكل متضارب في كثير من الأحيان . فالتعدّد والتضارب يشتركان معاً في إنشاء مجالات الكتابة بالمصطلح النقدي وفي المصطلح النقدي .

وعليه ، فمن النتائج المرتقبة والتالية على هذه السمة هو أن تطغى على النصوص النقدية ظاهرة التناسق وبالتالي يطفح بالسياقات التعريفية . ولا نستغرب اصطباغه بالظاهرتين معا أي التناسق وعملية التعريف في المتون أو الهوامش وهو ما يعود إلى نشوء سياقات تعريفية بامتياز . ذلك أن إدخال مصطلحات جديدة تكون في حاجة إلى ضبط بالتعاريف المختلفة وكذلك

تتطلب مقارنتها أو مقابلته بغيرها مما هو سائد ممن المصطلحات التي كانت متواجدة في الثقافة العربية سواء في التراث أو عبر المستوفد.

2.1.2 نسقيّة المصطلح النقدي وحدودها في النقد الثقافي

ليس المصطلح النقدي كما قد يتصوره بعض الناس . وحتى أولئك المستبصرين لقضاياها باهتمام شديد . مجرد كلمة تشتغل وتعمل داخل نسق لغوي كما باقي الوحدات اللغوية . لكن . في الواقع . ولئن كان للتصور السابق جوانب عديدة من الصحة ، فإنه يفصح عنها بطريقة قد تؤدي إلى إهمال تلك الأبعاد والمقومات التي ينطوي عليها المصطلح والتي تؤكد طابعه النسقي المركب والمعقد لغويا وثقافيا ومعرفيا ، على منوال تركيب وتعقيد مفهوم " النسق الثقافي " الذي ينهض به المصطلح النقدي في حد ذاته ، على أنه نسق معرفي اجتماعي فكري يحمل كل ما تفرزه الثقافة في النص أو الخطاب (سمير الخليل ، (د.ت.، ص.294) وله حضور بتجليات سياقية تسمية ومفهومية متنوّعة وفق بعض التحديدات (Bruno de Bessé, 1992, p.75).

وينبغي التذكير هنا بأنه ، للوقوف على النسق الثقافي ، بهم الاحتكام إلى النقد الثقافي الذي شدّ ما عني بالثقافة في جميع مظاهرها وأنواعها ، والذي « في أبسط مفهوماته ليس بحثا أو تنقيبا في الثقافة إنما هو بحث في أنساقها المضمرة وفي مشكلاتها المركبة والمعقدة » (سمير الخليل ، 2015 ، ص.03). وإذا اعتبرنا النقد الثقافي . في أحد تعاريفه . استكشافاً لتكوين الثقافة العربية وتقويماً لها (ميجان الرويلي وسعد البازعي ، 2005 ، ص.309). فهو يعد نشاطاً إنسانياً يحاول دراسة الممارسات الثقافية في أوجهها الاجتماعية والذاتية بل في تموضعاتها كافة بما في ذلك تموضعها النصوصي . ومن هنا « يبتعد النقد الثقافي عن الأدوات المنهجية المستعملة في النقد الأدبي ، وهي أدوات تبحث في بنية النص وفي ما هو (بلاغي / جمالي) أما النقد الثقافي فيبحث في الأنساق المضمرة للخطاب ويتعامل مع النص الأدبي بوصفها حادثة ثقافية كغيرها من الحوادث الثقافية التي تستأثر باهتمام الدراسات الثقافية التي تحاول الكشف عن أدوات التمركز والهيمنة ومن ثمة التعامل مع الهامش وما كان يعدّ متنا » (سمير الخليل ، 2015 ، ص.03).

من هذا المنطلق ، واعتمادا على قيد مفهوم " النسق الثقافي " كما قدّمه العالم الإناسي الأمريكي المعاصر كليفورد غيرتس (Clifford Geertz) 1906 – 1926) دأباً على تأسيسه (نادر كاظم ، 2004 ، ص.95) ، تتعيّن المقومات المعرفية وتلك الأبعاد الثقافية ، في حدود الأنساق التي يستدرجها نظام المصطلح النقدي وأنساقه التي يستدعيها في مضمارها . ومن ذلك ما يمكن ذكره

هنا من باب إثارة فضول المستمع القارئ: البعد اللغوي اللساني الثقافي، البعد التواصل الاجتماعي، البعد المعرفي الأنطولوجي. مع ضرورة الأخذ بالشمولية التي يُفترض أن يتحلّى بها نسق المصطلح النقدي. ذلك أن ادّعاء الشمولية لا تتعارض مع شرط تحديد العناصر التكوينية التي تتسبّب في حصولها وحلولها. مع العلم أن هذه العناصر ترتبط بالأقطاب التي تتدخّل في تشكيل ذلك المصطلح. ولحلّ هذا التعقيد يؤخّذ كثيرا بالبعد التواصل الذي يتّسم به الخطاب النقدي بقوة وهو ما سندعوه هنا بالدور الخطابي للمؤوّلين المنتجين له وباعتبار المتلقّين.

هكذا يتّضح لنا أنّه، لضبط أنساق المصطلح النقدي العربي، ينبغي. كما أسلفنا. العودة إلى ما يتحكم فيها من قطبين أساسيين هما التأصيل والتوليد، اللذين أدخلّا كلّ ناقد أدبي ومثاقف في هموم معرفية ومقتضيات منهجية طالما سادها التعدّد في الرؤى، التي جعلت جهود بعض النقاد النظرية والتطبيقية التي كان يراد بها أن تنطبع بالطابع الاصطلاحي "الإجماعي التوافقي" تتبحّر في الفردات المتخاصمة والتي قليلاً ما تتفاعل إيجابياً؛ علماً أن مسألة الإجماع المصطلحي ليس حقيقة مطلقة بل تنطوي على وجه خرافي سبق ليوسف مقران أن شخّصه في إحدى وقفاتهِ النظرية لاشتغال المصطلح (يوسف مقران، 2022، ص.43). هذا، فإذا بنا نُلقي معظم تلك المجهودات ينصبّ على الاختلاف التنافري الشديد، وينغلق في بوتقة شبه تنازع "ابستمولوجي" في المقام الأول، يمكن الإطلاق عليه اسم "المثاقفة النقدية" لأن مجمل أسبابه كانت الانفتاح على الغرب، ظهرت نتائجه في مظاهر التطبيقات والممارسات النقدية التي تميّزت بتبعثر ونشئت وضروب من التخمّة والتضخم والفوضى وكل الأحكام السلبيه للصيقة بكثير منها، ولاسيما تلك التي طالت الانشغال بالتنظير المفرط. ومن هذه الزاوية، نرى أيضاً أنّ الحلول العملية لتلك المعضلات إنما تتوقّف على سدّ الفجوة بين هذين المتزعين المتطرّفين.

3.1.2 منهجة المصطلح النقدي ومقارباته

يمكن تناول المصطلح النقدي باتباع عدة منهجيات ومقاربات، غير أن المنهجية التي تتناسب وفكرة النسقية المطروحة تقوم على استقرار المصطلحات النقية على مستوى المدونات النصية والخطابية المؤسّسة للمصطلح النقدي على أنها تمثل ظاهرة إشكالية شائكة، ولاسيما في المنشورات الجادة التي يغيب فيها التنسيق وأخذ بالاعتبار الأنساق الثقافية والمعرفية السائدة. وذلك نظراً للأسس النظرية التي ينطلق منها النقد والتي تسعى إلى تحقيق نوع من نمطية تسعفهم على التفهّم والتفاهم. بيد أن الخطاب النقدي وإذ ينفر من الطابع المدرسي، فهو لا ينفكّ يثور على

النمطية في التعبير بمصطلحات متقلبة دواماً. ولا يعني كونه خطاباً لا مدرسياً. في غالبه. ابتعاده عن الطابع التعليمي. هذا ما يسمع بالمعيرة التي تلازمه. وهو ما يتيح أيضاً وفي الغالب إمكانية تجسيد رصيده المصطلحي في منجزات معجمية وموسوعية يمكن للمستقصي والمستقرئ أن يصبّ في كثير من القوالب اللفظية السياقية الموصول إليها بالتواتر الكثيف والتي يستجمعها من النصوص، وباعتماد ما يمكن الاتفاق عليه من التعاريف المسندة إليها والتي تظلّ. على كلّ حال. محلّ مناقشات ظرفيّة.

من هذا المنظور يحسن الاعتماد على مقاربتين هما: المقاربة اللفظية والمقاربة المفهومية. وذلك باعتبار الأولى تنطلق من التسمية نحو المفهوم، أي من المدونة النصية والخطابية نحو المفاهيم النقدية المقارن بينها؛ أما الثانية فهي تنطلق من المفاهيم نحو التسمية أي من الأنساق المعرفية والثقافية والمرجعية والأنطولوجية نحو التسميات التي يكثر فيها شأن اقتراح البدائل التي تعد قضية إشكالية عصبية.

في ضوء المقاربتين نراعي ما يميّز به المصطلح النقدي من الصّعوبة في تماهيه (Identification) صعوبة تندرج ضمن سياق التحوّلات المحيطة به. ولنشوء هذه الخاصية بمثل هذا الحجم أسبابٌ نشير منها إلى كون ذلك المصطلح وثيق الصّلة بالعديد من مجالات المعرفة. التقريرية منها والإجرائية. على غرار الفلسفة واللسانيات والبلاغة وتحليل الخطاب والتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الجمال وجميع العلوم التي تتمحور حول الديانات والمعتقدات بمختلف تسمياتها وثقافتها.. الخ. وهناك ما لا يتّسع المقام لذكره من عوامل أخرى. ثمّ بقدر ما تعدّ هذه الخاصية قميّنة بأن تفتح أمامه (المصطلح النقدي) معابر على عوالم متّسعة الأرجاء فهي كفيلة بأن تُكسي تخومَه التباساً يتأتّى من عمق تاريخه وتشعّب مرجعيّاته وتنوّع رؤى أصحابه، ولا يتحمّل مسؤوليّة هذا الالتباس وتبعاته سوى الخطاب النقدي الذي علينا بتحسيس أصحابه بها ضمن هذه السّطور.

2.2 تعريف المثاقفة النقدية

1.2.2 تسمية (المثاقفة النقدية)

لقد صيغت تسمية (المثاقفة النقدية) مركّباً نعتياً حيث تدلّ العلاقة فيه حينما يدور المدلول حول مدار التخصص، على سبيل نعت العلم بفرعه مثلاً أو الدراسة بأحد موضوعاتها، ولكن. في هذه الحال. نجده على سبيل النسبة التي قد يعتقد أنها لا أثر لها في المركّب الإضافي. وكشأن كلّ مركب يمكن تبسيطه أو اختزاله لتظهر حقيقته في جملة بسيطة. وذلك باستشراف

عصب الجملة الذي هو (الإسناد)، والإسناد في أحد تعريفاته "نسبة تفيد معنى"، كما أورد السكاكي: «والإسناد هو تركيب كلمتين أو ما جرى مجراها على وجه يفيد السامع» (أبو يعقوب السكاكي، 1983، ص.86). والفائدة هنا يمكن قيدها كالآتي: «المثاقفة التي مجالها النقد». فكل ما يتمحور من التعريفات لهذا المفهوم المركب هو تفرُّع على هذه الجملة.

لقد تبيننا تسمية (المثاقفة النقدية) لتمثيل المفهوم الذي يعيننا هنا. مع أنّ التنوعيات التي تدرج عليها هذا المفهوم معتبرة ولم ينحرف جرائها عن مساره الطبيعي، مع أهليته في الاشتباك معها. بل نشاهد اقتران أحد عناوينها الفرعية. مثلاً. بخلدون الشمعة الناقد السوري المهاجر إلى لندن، وهو (المثاقفة المبدعة). كما جاء في أحد نصوص الناقد الجزائري أزراج عمر المتنبّع للتطوّرات التي عرفها خطابه النقدي، فيؤكد بقوله: «لا شك أنّ الناقد السوري خلدون الشمعة يقف إلى جانب أبرز نقاد الأدب في مشهد النظرية النقدية العربية المعاصرة وتطبيقاتها، وهو أيضاً من الأسماء السبّاقة للتنبيه إلى ضرورة الانفتاح على كنوز الثقافة الغربية. وخاصة النقد الأدبي الغربي الأكثر تطوراً وحدانية. وإلى إقامة الحوار الخصب معها في إطار مشروع المثاقفة المبدعة، وقد بذل الكثير من الجهد لبلورته وتكريسه في مسرح النقد الأدبي العربي إلى جانب مساهمات كوكبة من المفكرين والنقاد العرب» (أزراج عمر، 2014، ص.15).

من هنا فعوارض المثاقفة التي علقت بالخطاب النقدي لكثير من النقاد، إنما تندرج ضمن سياق التحوّل الذي لا يزال يأخذ أشكالاً مختلفة من زمن إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى، بل من ناقد إلى غيره. بيد أنّه كثيراً ما توظّف الكتابة من أجل الحفاظ على الانسجام الكلي للمقولات النقدية التي يرافع لصالحها ذلك الخطاب النقدي.

2.2.2 مفهوم "المثاقفة النقدية"

بناءً على ما جاء أعلاه من الشرح والتحليل. وبانتهاج أسلوب الانتقاء والتركيب. يمكن لنا أن نقترح مفهوماً للمثاقفة النقدية في إطارها العربي، هو كالآتي: المثاقفة النقدية هي جسرٌ للتواصل بين الأفكار التي تظهر في مجال النقد، ويتم استغلالها من مختلف الثقافات العابرة للقارات. وتدلّ أيضاً على ضرورة التعامل مع ظاهرة المثاقفة تعاملاً نقدياً نابغاً عن وعي بمكونات الذات إلى جانب الخبرة الواعية للبشر، بمنأى عن التلفيق المتناقضة، لكيلا تستحيل إلى مجرد التماهي مع التجربة الغربية ولا سيما في قضية الحدّثة التي مسّت الأدب وجميع مستويات الثقافة

الإنسانية، ولاسيما مع ما يدعى قصيدة الرؤيا التي أوحى على الرؤيا الفكرية والنقدية وآلت أية من آيات المثاقفة وانفتاح الشاعر العربي والناقد العربي على الثقافات والآداب الغربية.

ولما كانت المثاقفة تشير في أكثر الأقوال عمومية إلى ما يطرأ من تغييرٍ في نمط معيشة تابعة لأفراد معيّنين وما يمسّ انتماءهم الثقافي، نظراً لقيامها على التفاعل والاحتكاك المباشر والمستمرّ بين هؤلاء الأفراد المتعارفين والوافدين من ثقافات مختلفة، فإنّ المثاقفة النّقدية تتقاطع معها في كونها تدلّ على ما يحدث من تبدّلات في أيّ شكلٍ من أشكال التفكير والنشاط العقلي. وهو ما يسمح بالحديث عن المثاقفة بين النقد الأدبي الغربي بقديمه وحديثه والنقد الأدبي العربي الحديث بصفة استثنائية؛ مع مراعاة اختلاف الثقافتين، وللتفاعل المباشر والمستمر بين هاتين الثقافتين على المستويات الفكرية والمعرفية والاجتماعية. وتعمل المثاقفة النّقدية الواعية حينئذٍ على بلورة هذا المزيج في شكل خطابٍ نقديّ لا يتعارض فيه الحاضر بالماضي، ولا يتناوَش العربي بالغربي، ما دام ذلك الخطاب قميناً بالجمع بين الانسجام والاختلاف، وكذلك من خلال تكريس الموقف السديد والصّحّي من التراث الذي لا يجب أن يكون موقفاً من الماضي وإنّما هو موقفٌ من الحاضر (جابر عصفور، 1992، ص.68). هذا ما يؤكّد جابر عصفور متحدّثاً بصراحته المعهودة وبالضمير المتكلم: « فبحسب موقعي من الحاضر يكون موقعي من الماضي وليس العكس كما يقال أو كما يظنّ. إنّ الماضي هو سندي وسلاحي لمشروعية حاضري، وبحسب معرفتي بحاضري وموقعي من حاضري تكون معرفتي وموقعي من الحاضر » (جابر عصفور، نفسه، ص. 68).

3.2.2 منهج الجدال في موضوع " المثاقفة النقدية "

لقد جعلت المثاقفة كثيراً من الأعمال النقدية تنطبع بطابع عدم الاستقرار في كثير من المفاهيم التي كان النقاد يطلقونها كلّ من جانبه المتميّز عن الآخر، على غرار مفهوم " النص "، مفهوم " الحداثة " الذي أصابه عند جابر عصفور تمدد وانكماش، أو (المد والجزر) بتعبير فيصل دراج الذي هو أحد الدارسين له. في السياق نفسه تظهر الأهمية التي أولاها جابر عصفور لإشكاليات قراءة النقد المعاصر وفق برنامج أو مشروع شامل ودقيق في آن، وذلك في إطار تحديدات منهجية واضحة المعالم، حيث تبرز أهمّ الإشكاليات فيما أسماه (إشكالية التراكم المعرفي) التي فحصها الناقد الضليع فحواها وشكلها بجدارة وعمق، وهو يعتمد إلى تبئير عنايته على ثنائية الحداثة والمعرفة، وهي الإشكالية التي شاعت عند غيره ضمن مقولة " انفجار النظرية " التي

كرّها عبد السلام المسدي مجاهرا: « إنّ أول ما نريد أن نصح به هو أنّ النّقد الأدبي في عصرنا الحديث قد تطوّر كما لم يسبق له أن تطوّر من قبل، وأنّ تطوّر قد اقتفى نسقاً فيه من التسارع وفيه من التنوّع والغزارة ما لم يعرفه من قبل في حياته المديدة منذ كان لنا عن اللَّفظ الشعري والكلمة الأدبية والقول الفنّي وثائق دوّنها الإنسانيّة عبر تاريخها الطويل » (عبد السلام المسدي، 1997، ص.101). في هذا السياق يُدلي بدلوّه حول عوامل هذا الازدهار الذي يربطه بازدهار المعرفة اللّغويّة الحديثة في أهمّ مُنجزاتها الثقافية ومعارجها الفكرية، قائلاً: « والذي نريد أن نصح به تالياً هو أنّ النّقد الأدبي مدينٌ في جِلّ ما يعرفه في أيّامنا من نماء وازدهار إلى المعرفة اللّغويّة الحديثة، فهي القادح لوقود محرّكة وهي المفجّر لثورته الزكية اليافة » (عبد السلام المسدي، نفسه، ص. 101). وهي المعرفة التي يرى أنّها الأخرى تتطوّر في أيّامنا، وتطوّرهما يقتضي نسقاً يذهل المرء من شدّة وقعه على الأفكار وتحار الذكريات في شأن استيعابها بحقّ (عبد السلام المسدي، نفسه، ص. 101).

ذلك أنّ في هذا السعي المنهجي ما يوسّع أفق القراءة ويحاصر تقليديّة الأسئلة والإجابات . كما يرى فيصل دراج (فيصل دراج، 2012، ص.173). هكذا تقوم منهجية البحث في موضوع الثقافة النقدية على الوصف والاستقراء والاستقصاء. وتعتمد تحليل المدونة النقدية المثقفة، في إطار إشكالياتٍ مقنّنة، وانطلاقاً من جملة الظواهر النقدية الثقافية التي تكون قد اعترت تلك المدونة التي يتمّ جمعها عن كتب ثم قراءتها قراءات عديدة وعميقة تسعى إلى الفهم والدرس معاً، وتخصيص مجال للتأويل. وتتعلّى المنهجية . من جهة ثانية . بطابع تفسيري تحليلي: ما يعني تفسير تلك الظواهر وتعليلها، ولكن ليس من أجل تبريرها بقدر ما يُستهدف الكشف عن الأسرار التي تتوارى خلف تلك الظواهر، كالأليات والمظاهر التي تكون قد اكتنفت ظاهرة المثقفة في الخطاب النقدي المعني بالدراسة والتمحيص والفحص. أمّا المقابلة التي قد يُلجأ إليها، فهي لالتماس منهج المقارنة . من جهة أخرى. بيد أنّ هذا المنهج المقارن لا يليق اعتماده من باب التوصل إلى الأحكام القيمية باستحسان هذا الناقد أو ذاك، أو استقباح أحدهما دون الآخر، بل يُعتمد إلى المقارنة كأسلوب طالما أنه من شأنه أن يضيء جوانب خفية عن ظاهرة المثقفة التي يتمّ بسطها انطلاقاً من خطاب كلّ ناقد يدخل في شبكة المقارنة تلك، بمراعاة أوجه الشبه والتركيز على أوجه التباين بين النقاد المعنيين.

3 أنساق المصطلح النقدي العربي: الاشتغال والمرجعيات

1.3 هموم التأصيل وأنساقه

1.1.3 نسق الوعي التراثي العميق والطريف في آن

إن الخطاب النقدي (العربي) الذي ينفرد به بعض النقاد لأسباب يضيق المجال لشرحها هنا، باعتباره محصولاً فكرياً ونظرياً (ثقافياً)، قد جال وصال وحام حول التراث النقدي خصوصاً. أو ما أسمته ريتا عوض بـ "الوعي التراثي العميق" (ريتا عوض، 2013، ص. 116-117). فصاغته أقلامٌ خطاباً مرگباً ومرتبياً من نصيب الممارسات النقدية التي غالباً ما يُنظر إليها. من جهة معاكسة. كحاصل تحصيل توجيهات ذلك الخطاب النقدي في بعده المصطلحي الذي سرعان ما صيغت إفرزاته بحسب الأنساق الآتية: نسق التعريف بالمصطلح، ونسق التأصيل المصطلحي بالمساءلة والمراجعة اللتين تطلان قضايا لغوية ذات الصلة بالتسميات، وتعنيان بالمجال المفهومي بالموازاة؛ وذلك بعد التقديم والقراءة. وتحكم هذا التراث خلفية الناقد الماثقة التي يهيم إبرازها في سياقات تسمى بالسياقات التعريفية (Contexte définitoire). ولا ننسى أنّ تواتر كلمة (المساءلة) في نصوص جابر عصفور النقدية والفكرية كبير قد يتجاوز العشرات من السياقات. وفي هذا دلالة على تكريس الكلمة مصطلحاً يستأثر بدلالات خاصة.

تُقدّم بعض المصطلحات (اللسانية) في سياق تحليل واقعة لغوية ما وتُدعّم بمعالجات يتوقّر فيها أحد الأهداف المسطرة أعلاه. لذا فالمعالجات المصطلحية هي بمثابة ما يدعى *السياق الواصف* (Le contexte métalinguistique)، أي سياق اللغة الواصفة (William F. Mackey, 1988, p.11-20) التي هي أشبه ما تكون باللغة المنطقية، التي تمتاز «بأنها ذات تفسيرٍ دقيق (علم الدلالة المنطقي)» (تون فان دايك، 2001، ص. 44-45).

وقد بلغ هذا السّلم من التراتب في الوظيفة والتوظيف. وهذه الدّرجة من التجريد. على إثر ما اجتهد فيه كلّ ناقدٍ ماثقف من جمعه لشتات النّقد التراثي أو (ميراثنا النّقدي). كما اعتاد تسميته. وعمل على تقديمه في صيغٍ حديثة بالمقابلة دائماً مع ما هو حدائي (الإسقاط)، وبعد الاعتكاف على قراءته قراءات متنوّعة ومتطوّرة، في خانات تصنيفية صميمية مختلفة على غرار كلّ من نقد النقد، وقراءة التراث النّقدي (البعيد والقريب)، والنقد الأدبي الخالص، وفكر الأنوار "العربي"، وبحث الترجمة وفكرها، والنظرية النقدية المعاصرة.

وقد كانت قراءة التراث (الأدبي والنقدي) عند الناقد جابر عصفور من منظور الزمن الذي يعيش فيه، والذي يتجاوب مع الأصيل من التراث، لأنه ينطوي على القيمة الإنسانية التي تصلنا به، وتصله بنا. ولكن خطابه هذا حول التراث يَعْتَوِرُهُ الإعجاب والتفاني في الدفاع عنه وتتخلله دعوات إلى الحفاظ عليه مشفوعةً بشهادات على إعادة قراءته تكراراً لأنه رصيد لا يفنى ومعلّم هادٍ على الطريق. وقد كان لكتابيه (غواية التراث) و(دفاعاً عن التراث) دلالة واضحة في هذا الشأن. وذلك على الرغم من كونه يعدّ من أكثر النقاد إحجاماً عن تغليف الحدائي بالتراثي على خلاف ما يسري في الثقافة العصريّة من آيات هذا التصرف الممعن في التكلّف.

2.1.3 نسق إعادة قراءة التراث

أما في خصوص إعادة قراءة التراث فيمكن الزعم بأنّه قد استفاد كثيراً من تجربة كلّ من طه حسين وأدونيس. بحيث كان تأثّره بتجربة عميد الأدب العربي في هذا المجال كحافظ وغواية في أنّ واحدٍ. وفيما يتعلّق بإعادة قراءة التراث (الأدبي والنقدي) عبر ما كتبه أدونيس، فقد كان من باب التجاوب مع ما التمسّه هذا الأخير من المثقفين من ضرورة الاستفزاز الإيجابي قبل التبيّي "الاندفاعي" (جابر عصفور، 2005، ص 05). وكذلك شارك جابر عصفور في النقاش الجاري حول النهضة العربية وأبدى موقفه من الجدلية القائمة بين التراث والأصالة من جهة والمعاصرة من جهة أخرى. لهذا فلم تخل كتاباته النقدية المثاقفة من عمليات التأصيل والتحديث في آن.

ويُذكر أيضاً بسّام قطوس، في هذا السياق، بما أدلى به حول مفهوم "التأصيل" وعلاقته بالتّقد وكإجراء حاسم في عمليّة المثاقفة ولاسيما بوصفه آلية من آليات هذه الأخيرة (بسّام قطوس، 2005). وعلى سبيل المثال فإنّ مصطلح "نظرية التلقي" الذي حظي باهتمام المحدثين قد عرف محاولات تأصيلية عريضة، إلى حدّ أنّ هناك من يجعل من مدخل "الالتفات" . وهو المفهوم البلاغي التراثي . مدعاة إلى الحديث عن تواجد هذه النظرية في التراث، أي نظرية التلقّي. فمفهوم الالتفات الذي يعدّ دليلاً على حرص المبدع على نجاح العملية التواصلية بينه وبين المتلقي، إذ يؤخذ هذا الأخير في الحسبان أولاً، فيراعى النص، وعلى هذا الأساس تحدّث النقاد والبلاغيون عن ضرورة مراعاة المبدع للمتلقّي والحرص على إرضائه، وهو جزء مما تقوم عليه العملية الإبداعية (فاطمة البريكي، 2006، ص 207). هكذا تستمرّ سلطة البلاغة القديمة، والتعلق الشديد بالتراث، حتى في ظلّ الانفتاح على الاتجاهات الأدبية الحديثة.

وعليه، فقد كان أهمّ ما توصّل إليه جابر عصفور من نتائج بحث هذه الإشكالية هو . من جهة . ما تسفر عنه القراءات النقدية للتراث النقدي من تمديد للمفاهيم النقدية، وكذا ما يستدعي . من جهة أخرى . من تجديدٍ للمصطلحية النقدية في كلّ مرحلة تالية. من ذلك ما شهده مفهوم (النصّ) و(النصّية)، عند عبد القاهر الجرجاني الذي يرتبط عنده بقوانين النّظم ومعاني النحو على أساس قصدي لا اعتباطي، إذ حدّد آلية الإبداع في نفس الشاعر من توحّي النّظم في الكلام على أساس نفسي عقلي. وكذلك من شأن هذين المصطلحين أن يستجمعا تلك الأفكار الجانبية . أو التي قد تبدو كذلك . والتي يكون جابر عصفور قد أفادنا من خلالها ببعض الآراء النقدية المتعلّقة بهذه الثنائية. وهو من عرّف بشغفه بأمر تمحيص الأسس التي قامت عليها تلك الآراء القديمة، ومن غير المتوقع أن يفوّت شأنها وقد سبق له أن تصفّح أعقد الآراء على مستوى التراث النقدي والبلاغي العربيّ أو ما يدنو منه عبر ما أسماه مراراً النقد القديم، وهي « الكتابات النقدية والبلاغية القديمة نفسها » (جابر عصفور، 1992، ص.09)، أو منظومة المفاهيم التي أفرزتها العمليات النقدية التي عرفها التاريخ الأدبي العربيّ. مع أنه كان شديد الانتقاد لهذا الاستعمال، وبتعبير آخر فقد عارض شغف التأريخ بشدة (جابر عصفور، 1995، ص.07).

من هنا يرتبط مفهوم النصّ عند الجرجاني بالنفس والعقل، لأنّ النّظم قضية نفسية قبل كلّ شيء، وهو ما يمكن توسيعه إلى مفهوم النصّ في دراستنا الحديثة، وقد يساعد هذا على تجاوز كثير من المشاكل التي تعترض مفهوم النصّ عند انعدام ظهوره مثلاً، هذا النصّ يُصبح المرجع في تحديد ما يجري في نفس كلّ من المتكلّم والسامع، اللّذين يخضعان . كلاهما . إلى قضية العقل، فالنصّ هو نظم للألفاظ الدالة على المعاني المرتبطة بالفكر وبالنفس، نفس المتكلّم ونفس المتلقّي، وهنا يتمّ التأثير « (عادل عوض، (د.ت)، ص.67). وعلى الرغم من كثرة اطلاع جابر عصفور على التراث وإحاطته بهذه المسألة (المفاضلة بين الشعر والنثر)، فلم يكتفِ بالرجوع إلى هذا التراث في الدفاع عن الرواية. طبعاً لم يكن الوحيد الذي خاض في الموضوع (جودت فخر الدين، 2004، ص.168)؛ بل سبق للقدماء أن عالجه على غرار ابن رشيق الذي خاض في الموضوع ولاسيما في كتابه " العمدة " (ابن رشيق القيرواني، 1907، ص.177).

2.3 مقتضيات التوليد المصطلحي

1.2.3 هاجس التأصيل المفهومي والمصطلحي

من الخطأ أن يُعتقد بأن التأصيل يُكثّر به في المثاقفة النقدية على صعيده التراثي وحسب. وإذا أدركنا أنّ من نتائج التعامل العلمي مع المصطلح هو أن يصبح التأصيل غاية منهجية وعلمية ومعرفية موجّهة للخطاب النقدي، فلا شكّ أن تقديم المصطلح وبحث ممكناته المفهومية النصية على الخصوص، هو من صميم المثاقفة بل يعد من هموم هذا الخطاب الذي كلما أدرك فيه الناقد بأنّه في صدد تقديم مصطلح جديد في حاجة إلى التأصيل، يتطلّع إلى بحث تأصيلاته وتأصيلاته، وهو ما يعد من قبيل تأهيل المصطلح حتى يستشرف المفهوم المراد تأصيله أيضاً.

وكثيراً ما يتطلب ذلك من الناقد الواعي أن يُحيط بالذهنيات الجديدة التي تستدعيها حمولات المصطلح، ويحاول أن يحسّس بها القارئ ويطلعه على توكينها الجديد ويعرفه بمسارب تطوراتها ومشاربها التي يدعوه إلى أن يغرف منها ما تحيل عليه من المرجعيات المرفقة؛ ولاسيما إذا كان ذلك المصطلح مكرّساً عربياً عن طريق ما يدعى النُقلة المعرفية. أو الاستجلاب المعرفي أو المواضعة (Yves Chevallard, 1985). أي (La transposition)، وهي الظاهرة التي تتمّ في الغالب بوساطة آلية الترجمة التي هي مفتاح جوهرى للمثاقفة (نجوة قصاب حسن، 2003، ص.07)؛ أو ما يدعوه خلدون الشمعة (التبيين والاستنبات). كما ورد في نصّ يقول فيه: «لا شكّ عندي أن الدكتور وهبة محق في شعوره بظلامه إزاء مواقف بعض المثقفين الراضين لانتشار العلمانية من مشروعه التنويري. ولكني لا أجد أن من المقنع اعتبار كل المثقفين معادين لمحاولته إحياء مفهوم العلمانية المتمثل في فكر ابن رشد ولتبيينه واستنباته مجدداً في فكرنا العربي المعاصر» (خلدون الشمعة، 2015، ص.74).

ذلك أنّ التفاعل بين الثقافات والحضارات المختلفة يعتمد في الأساس على الترجمة كفاتحة المفاهيم المستوفدة، لا باعتبارها مجرد حديث لغوي وترفٍ فكري؛ بل بوصفها أيضاً مظهرًا من التفاعل الثقافي، وضرورة إنسانية ملحة. لذلك ما يلفت الانتباه هو اهتمامه. في الغالب. بوضع مقدمات اصطلاحية لإشكالية ترجمة المصطلحات التي يتضمنها أي عمل يعول على ترجمته. عملاً فنياً إبداعياً كان أم غيره. وذلك بهدف توضيح السبب في تفضيل ترجمة على أخرى. ويعمد إلى ذلك في المتن أو الهامش أيضاً.

وقد سبق للنقاد المشار إليه . وهو خلدون الشمعة . أن وقف منذ سبعينيات القرن العشرين، عند علاقة المصطلح النقدي الأدبي بالنظرية؛ محاوراً هذه العدة المنهجية الأولية . كما يسميها، ومحاولاً الكشف عن خطورتها . من جهة، ومشيراً . من جهة ثانية . بالتأكيد على أن « المصطلحات في النقد ليست بالضرورة ذات طبيعة تحكمية جزافية، بل مجرد فرضيات لابد أن يكون لها غطاؤها الفعلي من الأرصدة الذهبية » (خلدون الشمعة، 1977، ص.49).

ومن شأن تلك العدة المنهجية أن تُبلور مفاهيم نقدية مديدة وتكشف عن تجربة نقدية عميقة، وذلك بما توقّره اللغة الواصفة التي ذكرناها أعلاه، من إمكانات دلالية وطاقات مفهومية. وفي خضم تلك التجربة تقوم استراتيجية المثاقفة على جملة من الإجراءات التي من خلالها يتم ترشيح الأصيل وطرح الدخيل عن طريق ما تمد به تلك اللغة الواصفة من مصطلحات نقدية من الدرجة الثانية من حيث العمق، أي تلك الأدوات التي أطلق عليها عزيز الشرقاوي "علامات المرور" (عزيز الشرقاوي، 1978، ص.62). وفي هذا الشأن يقول عزيز الشرقاوي منذ السبعينيات: « إنَّ كلّ مصطلح أو منهج يحمل في أحشائه حتماً خلفية فكرية تختصر نفسها ورؤيتها وتحليلها من خلال المصطلح النقدي والمنهج الذي يلائمه ويستعمل في إطاره ويتبادل الخدمة معه. فيستحيل فهم كلّ نقد أو منهج إلى فهم لمصطلحاته نفسها أي أدوات وعلامات مروره إن شئنا القول. كلّ نقد يختص نفسه في المصطلح النقدي، وكلّ مصطلح نقدي لا يتعدى كونه المجيب أو أداة الإجابة على السؤال الذي يطرحه مسبقاً أيّ منهج نقديّ قبل البدء في الجواب عليه من خلال دراسة أو تحليل المادة المطروحة عليه للنقد.

كلُّ نقدٍ هو ردّ فعل اجتماعي . ثقافي، لعطاء فردي معبر بالضرورة عن جماعة وعن مرحلة. وهذا النقد . الردّ لابد أن يطبع الطبقة الاجتماعية التي يصدر منها وإليها والتي لا يتجاوز الناقد . أيّاً كان . كزنه أداته المطيعة في هذا الرد وبهذا الشكل أو ذلك » (عزيز الشرقاوي، 1978، ص.62). ففي الخطاب النقدي يظهر المتكلم جلياً، ويُنسب إلى نفسه أكبر قدر من الأطروحات التي ستميّز عمله النقدي. ويتحدّد مستوى النقد بجواز إطلاق على أجودهم لقب "صانعي الخطاب النقدي". وهم الذين يكونون قد بلغوا حدّاً من النضج الفكري حيث تُصبح لديهم اهتمامات شمولية وتجريدية ورسالة سامية، تشغل من يُعنون بشؤون الأدب والفكر والثقافة عامّة . وقد تحتكر ساحتها . بما تقترحه من رؤية واضحة ومنهج أصح.

2.2.3 المصطلح نموذجاً للأنساق المعرفية

1.2.2.3 نسق التقليعة

يتأسس المصطلح نموذجاً معرفياً للوهلة الأولى بفضل سيطرة الاهتمام بالجديد والولع بكل طريف. لهذا قد تعني الممارسات النقدية - بشيء من التأخر في التكريس ضمن الفكر والوعي النقديين - من خلال ما يدعى بالعربية (التقليعة) - أو (الدُّجّة) أو (الموضة)، التي تمارس سلطتها في اختيار نظريةٍ بعينها دون أخرى. وإذا كان هذا الخيار صائباً من حيث القيمة الثقافية والمعرفية على الأقل، فإن كونه لا يستجيب بالضرورة لحاجات معرفية (إجرائية) تتصل بواقع الثقافة العربية في زمان ومكان محددين، ولا تردفه تعليقات أو شروح نقدية خاصة بالباحث أو المترجم العربي، أو اعتراضية مستمدة من مذاهب نقدية أوروبية أو أميركية مغايرة، فهو الخيار الذي تفرضه بنية أيديولوجية جامعة مانعة تُقبل وتُتَبَّى بقضيتها وقضيتها. وكذلك يمكن التسليم بشرعية (مفارقة الموضة المكرّة) بناءً على معتقد " الناقد الكامل " الذي يسطع نجمه عالياً في سماء المثاقفة النقدية (توماس ستيرنز إليوت، 1974، ص. 42 - 52).

2.2.2.3 نسق هيمنة النزعة المركزية الغربية

وأما النسق المصطلحي الثاني الذي يحمل في طياته نسقاً ثقافياً لا يستهان به، فإنه يتمثل في هيمنة النزعة المركزية الغربية التي حسبنا النظر إلى هذه التسمية لنستخلص الإقصائية التي طبعها، أي إقصاء الآخر الذي مارسه في بدايات نشأة المفهوم عن طريق نسق الثقافة وممارساته (عبد الله إبراهيم، 2020، ص. 15). علماً أن المصطلح كان في بداياته يطلق على المركزية الأوروبية (Eurocentrisme) التي تصدر عن فرط إعجابٍ يتعدى مسألة التأثير بالآخر الغربي إلى محاولة تقليده تقليداً حرفياً، فتتحول إلى أصولية عمياء تتبى المصطلح الغربي دون الاهتمام بمدى صلاحيته للاستعمال في سياق ثقافي عربي محدّد بزمان ومكان. واللافت في الأمر هو أنّ هذا الافتتان المفرط بالآخر ينطوي على التباس شديد. فأن تكون الآخر، يعني في المآل الأخير، ألا تكون ذاتك. فكيف يكون المرء ذاته وغير ذاته في آن ؟

كما أن هذا الضرب من الافتتان هو بمثابة كبح للحسّ النقدي كبحاً غالباً ما يؤدي إلى نشوء أصولية حدائية مغايرة للنزعة النقدية التي تقوم عليها الحدائنة، وهي أصولية مغايرة تمثل الوجه الآخر لأصولية نكوصية تدور في فلك جوهرائية ماضوية على صعيد التعامل مع التراث العربي. وبشكل هذا الرأي نقطة إجماع كثير من المثقفين العرب الذين تعرّضوا للحدائنة والتراث

بالدراسة على غرار طيب تيزيني الذي يرى أنّ الاهتمام الشديد بالتراث قد برز منذ اصطدمنا بأوروبا الاستعمارية، كنوع من رد الفعل على تحديها الحضاري (خلدون الشمعة، 2015، ص.14). وظهرت تيارات مختلفة في النظر إليه أهمها التيار السلفي، والتيار التحديدي، والتيار الجدلي التاريخي. وهذا التيار الأخير أهمها وأحدثها، وقد أخذ أحيانا طابعا انتقائيا، وأحيانا صورة الرفض. وهما آليتان يعتدّ بهما في الثقافة. دافع كثير من مثقفي نظرية "ما بعد الاستعمار" عن التعددية الثقافية، ورفضوا التمرکز الثقافي الغربي والثقافة الواحدة المهيمنة. كما رفضوا سياسية التدجين والتغريب والإقصاء، ونادوا إلى التنوع الثقافي والانفتاح الثقافي، عبر آليات الثقافة والترجمة والنقد والتفاعل الثقافي (جميل حمداوي، (د.ت)، ص.214).

هذا ما يذهب إليه خلدون الشمعة في تعريفه للثقافة. وهو تعريف سرعان ما نتوسّم فيه تطورا ملموسا. حيث يرى أن الثقافة (Acculturation) مصطلح ينتمي إلى الأنثروبولوجيا. لهذا فهو يشير. من حيث النشأة. إلى دراسات الغرب المتفوق على الآخر المنخ لكن الثقافة صبحت تُطرح في معظم الدراسات من خلال التحول الذي طرأ على المصطلح بحكم الأمر الواقع، فصار يشير إلى العلاقات الثقافية ذات الطابع التبادلي المستمر بين الحضارات. فعلى سبيل المثال، ثمة من تطرّق إليه بحيث يناقش إشكاليات الثقافة من خلال فعالية الترجمة، وما تواجهه هذه الفعالية التحولية من عقبات يثيرها نقل المصطلح الغربي إلى العربية (خلدون الشمعة، 2015، ص.12).

3.2.2.3 نسق الصيغة المعرفية المعتمدة أو "النموذج المعرفي"

وأما النسق الثالث فيتصل جوهريا بـ "الباراداييم Paradigm (Ang) / Paradigme (Fr)، الذي يعد في حد ذاته مرادفا لمفهوم "النسق" أي النموذج التفكير (النظري في الغالب) الذي يكون من وراء إنشاء الكثير من الأحكام والقرارات. ويمكن القول أيضا إنه البنية أو الصيغة المعرفية المعتمدة التي يحدد المركز المهيمن بموجبها الحقيقة العلمية التي يعرفها توماس كون في كتابه "بنية الثورات العلمية". *Revolution Scientific of the Structure*. باعتبارها (الحقيقة) التي تفرضها الجماعة العلمية السائدة، والتي تنجح إلى التغيّر فجأة. قليلا أو كثيرا. عندما تنجح جماعة علمية أخرى لعوامل محددة في حملة منافسة، بتفنيدها واستبدالها بحقيقة معتمدة أخرى (توماس كون، 2007، ص.179 - 203). وقد استيقن الناقد محمد برادة من أهمية هذه النقطة، فعالجها في أكثر من سياق؛ نورد منها النموذج الآتي:

« إنني أميل إلى ربط جدوى الترجمة بـ " السقف المعرفي " للمترجم المطالب بالحرص على إشعار القارئ العربي بأن ما يقرأه لا يتطابق بالضرورة مع المصطلحات والمفاهيم الموجودة في التراث والإنتاج العربيين، ومن ثم ضرورة نحت الكلمات والمفاهيم على ضوء المستوى المعرفي للثقافة المنقول عنها. ذلك من مزايا الترجمة أن تضعنا أمام أسلوب ولغة ومفاهيم مغايرة، تنهنا إلى أن قدرات العقل والخيال هي أوسع مما ألفناه في ثقافتنا؛ ومن خلال هذا الحرص، تتسع لغتنا وتفكيرنا. وأظن أن إرفاق كل ترجمة بمقدمة تحليلية، على نحو ما فعل الأستاذ العروي، هو عمل ضروري من شأنه أن يُقَدِّم حلولاً لمعضلة الترجمة » (محمد برادة، 2011، ص.35).

ذلك أن الناقد المثاقف يُتصوّر أنه قرأ الثقافة الأخرى بشكلٍ يدلّ على أنه بإمكانه أن يتمثّل روحها ويندمج فيها إذا شاء ذلك، مع حقّ التحفّظ الذي قد يدفعه إلى المقاومة اتّقاء الانصهار الكلّي في تلك الثقافة المستقطبة (المثاقفة). ولما كانت المثاقفة النقدية شعاعاً متقدماً من بعيد يمكن ملامستها ضمن خلفياتٍ وتوسّمها انطلاقاً من منهجيات؛ وهي المنهجية التي عثرنا عليها في إرهاسات محدّدة على غرار كلٍّ من: خلفية الأدب المقارن، ونقد الترجمات.

إنّ المثاقفة النقدية التي نشأت عن الممارسات النقدية، كادت في شقّها المصطلحي، أن تندمج ضمن خطاب مشترك إلى حد كبير، وذلك جراء تصنيف أهم قضاياها في هاجسي التأصيل والتوليد كنسقين متكاملين أكثر من كونهما متعارضين؛ وحتى تلك التنوعات، فقد أسفرت عن مقولات نقدية تعد ثمرة إسهامات النقاد في حركة التأسيس الاستمولوجي للمثاقفة النقدية التي يعتبر مفهومها شيئاً غير معطى سلفاً لذلك يجب بناء هذا المفهوم الهلامي عن طريق ما رأيناه من بعض تجلياته ولاسيما أنّ هذا الضرب من المثاقفة أصبح يرافقها نضجٌ فكري وثقافي من شأنه أن يساير المحاولات الرامية إلى توحيد الصفوف في مسألة التعامل مع المفاهيم النقدية المستجدّة، في هذا الشأن يجب علينا التنويه بنظر يوسف مقران إلى ما عمد إليه من الكشف عن اقتران طرفي ثانية (التوليد المصطلحي والتوحيد المصطلحي) وذلك في سياق تطبيقه للقضية على ميدان اللسانيات. ذات الصلة بالنقد. وحينما زعم أنّ الحرص على ربط مصير هذه الأخيرة بالتوليد (بالتوحيد) يعود إلى الزاوية التي تبنّاها والتي تنحصر في النّظر في الإمكانيات من حيث « إننا [كما يحدث] نخمن دائماً وجود كياناتٍ وعملياتٍ وآلياتٍ جديدة. كما هو راجعٌ إلى وضعيّة الدّرس اللّساني العربي المرتبطة بالترجمة أساساً ما يعني وجود مفاهيم غير مترجمة إلى حدّ السّاعة. والحال إنّ ما يوجد منها مترجماً لم يُسعف اللّغة العربيّة كثيراً على تنمية رصيدها المصطلحي. ثمّ

إنَّ أزمة المفهوم أقلَّ خطورة من سوء ترجمته ومن تعدّد الترجمات التي لا يهتم بعضها شأن التوحيد ولا تراعي مقتضياته على الإطلاق والتي لا تفي دائماً بالمفهوم الصحيح» (يوسف مقران، 2012، ص.75).

ولكي تتم الفائدة، في ضوء هذه النظرة الاستشرافية، يحسن استجماع القوى وتركيزها على ذلك الحدث التأسيسي الذي أمكن أيضاً بمقتضى انفتاح النقاد على المناهج والنظريات النقدية الغربية. ولا يمكن التوسّع في مفهوم المثاقفة على الصعيد النقدي ولا فهمها إلا باستدراج القضايا المصطلحية ضمن تلك المقولات التي يمكن اعتبارها براديغمات تصنيفية على غرار: سقوط الواحدة النقدية، والمثقف تجاه العبء الاستمولوجي، ومعارضة أزمة المنهج في النقد، ونقد النقد ومحاورته.

خاتمة بنتائج

على إثر هذه المعالجة المنصبة على المصطلح النقدي العربي وما طرحناه من أنساقه رأينا أن مصير مجمل هذه الأنساق إنما هي عالقة بين حدّي اتجاهين أفضت اختلافاتهما (وخلافاتهما الحادة) إلى نشوء مسلكين متضاربين في الظاهر، لكنهما عابران ومتكاملان في الباطن على شاكلة المفارقة وهما: التأصيل بهوموه، والتوليد وما يقتضيه من المسائل التابعة والوسائل المتاحة والمفترضة والمأمولة. هذه الثنائية الاستمولوجية التي تطلّبت منا انتهاج مقارنة هي على مستوى جدية الرهان بحيث تم فيها تفكيك المقولات الراسخة وفهم تلك المقترحة وإدراك الأبعاد والمقومات الخاصة بكل جهة من هذه الجهات المنمّطة وذات الطوعية التكيفية الحاسمة.

وفي هذا الصدد، رأينا كيف يتم استيعاب أبعاد المصطلح النقدي وأنساقه، وكذا مقوماته، وما تكفّله هذه الأخيرة من إمكانات تصفّح كفيات اشتغاله في المدونات النصية والخطابية. مع العلم أنّ مثل هذه المدونات قد أسفرت عما يدعى (المثاقفة النقدية) الكاشفة عن بعض الأضرار وبعض المنافع التي ينطوي عليها المسلكان المعالجان. وإذ هي تحاول أن تجيب عما إذا كان رواد الاتجاه التأصيلي عاجزين عن التفكير خارج نطاق المقولات التراثية، فقد أثّرنا سؤال النظر في مدى إصابة المهووسين بالتوليد بهاجس الظفر بالمفاهيم الغربية مهما يكلف ذلك من الثمن.

ولتحديد أطراف المعادلة، فقد تمّ الوقوف على ما ينطوي عليه السؤالان من خطرين رئيسيين: خطر إحداث قطيعة تفسّر بما يُفترض عند الاتجاه الثاني من التراجع عن التراث

وضروبه، وخطر الاندفاع نحو ما يُتوهم من الحداثي (التوليد) الذي يستتبع عند الطرف النقيض نوعاً من *الرجعية* في أعينهم. مع ما قد يثيره هذان الخطران العصيبان من شكوك خفية وأخرى أعلن عنها حول المثاقفة النقدية العربية، فإن التصدي لهذين الخطرين الداهمين إما من باب الصدد عنهما أو من باب احتوائهما، إنما يتماشى مع تناول شؤون المصطلح النقدي الذي يسلط الأضواء على طبيعة كثير من المشكلات الصميمية الجانبية المرفقة والتي عنيّا بها على الهامش نوعاً ما لأنها تم التعرض إليها من قبل كثير من الدارسين، ولأننا حاولنا قدر الإمكان تحاشي الوقوع في الحشو الذي يؤدي في الغالب على الصعيد المفهومي إلى التخمّة والتضخّم، وعلى المستوى المصطلحي إلى الفوضى المصطلحية العارمة والوخيمة.

قائمة المراجع

باللغة العربية

1. إبراهيم، عبد الله (1989)، التفكيك: الأصول والمقولات، أفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء.
2. إبراهيم، عبد الله (2010)، المركزية الغربية، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت). منشورات الاختلاف (الجزائر).
3. أزراج، عمر (ديسمبر 2014)، صقيع النسيان، العرب، ع.9766، لندن، ص.15.
4. إليوت، توماس ستيرنز (فبراير 1974)، الناقد الكامل، ترجمة خلدون الشمعة، المعرفة، ع.144، دمشق، (ص.42.52).
5. برادة، محمد (يوليو 2011)، عن تعريب المصطلحات والمفاهيم، دبي الثقافية، ع.74، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، دبي (دول الإمارات المتحدة)، ص.35.
6. البريكي، فاطمة (2006)، قضية التلقّي في النقد القديم، دار العالم للنشر والتوزيع، الإمارات العربية.
7. دايك، تون فان (2001)، علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد البحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة.
8. دزّاج، فيصل (يوليو 2012)، كتب وقراءات، المستقبل، ع.401، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، (ص.173.181).

9. حسن، نجوة قصاب (فبراير 2003)، الترجمة أداة المثاقفة والتفاعل الحضاري، المعرفة، ع.473، دمشق، (ص.05.08).
10. حمداوي، جميل (د.ت)، نظريات النّقد الأدبي: في مرحلة ما بعد الحداثة، شركة مطابع الأنوار المغربية، وجدة (المملكة المغربية).
11. الخليل، سمير (2015)، فضاءات النقد الثقافي: من النص إلى الخطاب، ط.3، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م).
12. الخليل، سمير (د.ت)، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي: إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة، مراجعة وتعليق سمير الشيخ، دار الكتاب العلمية، بيروت.
13. الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد (2005)، دليل النّاقّد الأدبيّ: إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًا معاصرًا، ط.4، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء. بيروت.
14. السكاكي، أبو يعقوب (1983)، مفتاح العلوم، ضبطه وشرحه نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت.
15. الشرقاوي، عزيز (1978)، وضعنا النّقديّ؛ وضعنا النّقاّي، الثقافة الجديدة، ع.11/10، المحمّدية (المغرب)، (ص.53.65).
16. الشمعة، خلدون (1977)، النقد والحريّة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
17. الشمعة، خلدون (أبريل 2015)، عصفور حي أم نسر محشو بالقشّ: إشكاليات المثاقفة الثلاث (النظرية، السياق، المصطلح)، الجديد، ع.03، لندن، (ص.12.15).
18. الشمعة، خلدون (ديسمبر 2015)، إنزال الفلسفة عن عرشها في العلاقة الملتبسة بين المثقف والسلطة، الجديد، ع.11، (ص.74.77).
19. عصفور، جابر (1992)، الصورة الفنية في التراث النقديّ والبلاغيّ عند العرب، ط.3، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء. بيروت.
20. عصفور، جابر (1992)، قراءة التّراث النّقديّ، سلسلة دراسات نقدية، دار سعاد الصباح، الكويت. القاهرة.
21. عصفور، جابر (1995)، مفهوم الشّعر: دراسة في التّراث النّقديّ، ط.5، سلسلة دراسات أدبية، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة.

22. عصفور، جابر (2005)، غواية التراث، سلسلة كتاب العربي، ع.62، وزارة الإعلام، الكويت.
23. عوض، ريتا (سبتمبر 2013)، نحو منهج جديد في قراءة شعرنا القديم، العربي، ع.658، وزارة الإعلام، الكويت، (ص.116.120).
24. عوض، عادل (د.ت)، التراث النقدي: قراءة أخرى، دار النصر للتوزيع والنشر، القاهرة.
25. فخر الدين، جودت (2004)، شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثامن الهجري، ط.3، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
26. قطوس، بسام (2005)، إستراتيجيات القراءة: التأصيل والإجراء النقدي، عالم الكتب، القاهرة.
27. القبراوني، ابن رشيقي (1907)، العمدة، مطبعة السعادة، القاهرة.
28. كاظم، نادر (2004)، تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
29. كون، توماس (2007)، بنيه الثروات العلمية، ترجمة حيدر حاج سماعيل ومراجعة محمد دبس، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.
30. مانقونو، دومينيك (2005)، مصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، سلسلة اللغة الأخرى، منشورات الاختلاف، الجزائر.
31. المسدّ، عبد السلام (سبتمبر 1997)، النقد الأدبي وانفجار النظرة، العربي، ع.466، وزارة الإعلام، الكويت، (ص.100.106).
32. مقران، يوسف (مارس 2012)، المصطلح اللساني العربي: بين التوليد والتوحيد، المترجم، مخبر، م.12 / ع.1، مخبر تعليمية الترجمة وتعدد الألسن، جامعة وهران 1، الجزائر، (ص.73.133).
<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/60817>
33. مقران، يوسف (يناير. فبراير 2022)، حول مقومات المصطلح وأبعاده الاستمولوجية: محاولة في إعادة صُوْرَة لنظرية المصطلح، مجلة نقاش الثقافية، ع.3.4، وداد أو شنب (رئيس تحرير)، عمان (الأردن)، (ص.43.50).
34. يحيوي، رشيد (مايو 1987)، حول قضية المصطلح النقدي، أدب ونقد، ع.30، القاهرة، (ص.44.50).

باللغات الأجنبية

1. **Barthes**, Roland, L'ancienne rhétorique : aide-mémoire, Communications, n° 16 (Recherches rhétoriques), Paris, (p.172-223).
2. **Bessé**, Bruno de- (1970), Cours de terminologie, Ed. ETI Université de Genève, 1992.
3. **Chevallard**, Yves (1985), La Transposition didactique : du savoir savant au savoir enseigné, Ed. La Pensée sauvage, Grenoble.
4. **Diri-Kidiri**, Marcel (Juin 2000), Une approche culturelle de la terminologie, Terminologies nouvelles, n° 21 (Terminologie et diversité culturelle) Rifal, Bruxelles, (p.27-31).
5. **Mackey**, William F. (Janvier-juin 1988), Texte, contexte et culture, TTR : traduction, terminologie, rédaction, vol.1, n°1 (Traduction et culture(s), Dir. Jean-Marc Gouanvic), Université de Québec, Ed. Les Presses de l'Université de Québec, Québec, (p.11-20).